إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع
المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي
في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 – 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022

الشّيخ الحسين حمادي
وجهوده الإصلاحية والثقافية ببلدته النّخلة

Sheikh Hussein Hammadi and his reform and cultural efforts in his palm town

د/ مليكة زيد

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي (الجزائر)

malikazid@yahoo.com

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: إنَّ مدنَ الجنوب الشَّرقي الجزائري تزخر بعددٍ كبير من رجالِ الإصلاح والفكر، قدَّموا جهودًا في سبيل خدمة الدِّين والوطن والعلم، ومدينة وادي سوف أحدها شهدت انتعاشًا علميًّا قبل الاستقلال بفتحِ مدارس لتكوين الفرد الصَّالح، وتحرير سكَّانها من الجهل، والتخلُّف، وكانت بلدة النَّخلة إحدى مناطق المدينة وُلِد من صلبِها أعلام أبلوا بلاءً حسنًا في خدمةِ الدِّين ونشر العلوم، والشَّيخ الحسين حُمّادي أبرزهم، ورث عن أبيه الإمامة، والتَّعليم، والتَّدريس، وخاض تجربته العلمية الممزوجة بالعطاء الفكري في القطر التونسي؛ حيث جامع الزَّيتونة،فهدف البحث إلى التَّعرف على شخصيته، وإبراز أهمّ جهوده الإصلاحية، والثَّقافية في بلدته النَّخلة؛ مستخدما المنهج الوصفي والتَّاريخي، فخلص إلى أنَّ شخصية الشَّيخ الحسين حمّادي من الشَّخصيات الإصلاحية النَّشطة؛ وعظًا، وإرشادًا، وتعليمًا، والصِّفات التي يحملها جعلت منه شخصية تتميَّز بالعزيمة والثَّبات، والظُّروف الاستعمارية التي عاشها لمْ تنقص من عزيمته، فآتى جهده أكله وثماره.

الكلمات المفتاحية: الحسين حمادي؛ الجهود؛ الإصلاحية؛ الثقافية؛ النَّخلة.

Abstract:
The cities of the southeast of Algeria are replete with a large number of reformist and intellectual men, who have made efforts in the service of religion, homeland and science, and the city of Oeud Souf, one of them witnessed a scientific recovery before independence by opening schools to form the good individual and liberate its population from ignorance and backwardness, and the town of Al-Nakhla was one of the areas of the city. Among them are figures who have done well in the service of religion and the dissemination of science, and Sheikh Hussein Hommadi is the most prominent of them. He inherited from his father the imamate, education, and teaching. He went through his scientific experience mixed with intellectual giving in the region of Tunis, where the Zaytuna Mosque was located. The descriptive and historical approach, so he concluded that the personality of Sheikh Hussein Hommadi is one of the active reformist personalities, preaching, guiding and teaching, and the qualities he carries made him a character characterized by determination and steadfastness, and the colonial conditions in which he lived did not diminish his determination, so his effort paid off.

Keywords: Hussein Hammadi; efforts; reformatory; cultural; palm.

1. مقدمة

شهدت مدينة وادي سوف حركة إصلاحية خلال القرن العشرين،زاخرة بجهودِ شيوخها وعلمائها خرّيجي جامع الزَّيتونة بتونس والأزهر الشَّريف بمصر، وممَّن تلقّوا العلم من شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فشهدت انتعاشًا وانتاشًا لبزوغ بذرة التَّعليم والإصلاح، فأخرج شطأه واستوى على سوق علومها الشَّرعية المزدانة بأوراقها الأدبية والفكرية، فخلَف من بعدها شغف ساكنة المدينةِ إقبالاً والتفافا للريِّ من ظُرِ حملة الرِّسالة؛ لإصلاح ما أفسدته ترسانة الجهل، والتَّخلُّف الذي خلَّفه الاحتلال الفرنسي، فمسخ الهوّية الوطنية، وأجهضَ المقوّمات الدِّينية التي ما فتئت الجمعية تعمل على إحياء مواتها، وجبر ما صدع منها من جدران العروبة، وعرصات الدِّين الإسلامي. فكان لخرّيجي هذه المعاهد الإصلاحية اليد الطولى، والبصمة العليا في مجال العمل الإصلاحي،ومنْ أبرزهم ما نأمل أنْ يسعفنا دراسة نشاطه، وجهوده الإصلاحية والثَّقافية " الشَّيخ الحسين حُمّادي بن علي حمادي" عليه رحمة الله،والذي عُرِف بدوره التَّعليمي، والإصلاحي في تونس، وفي منطقته وادي سوف؛ وتحديدًا ببلدة النَّخلة.

وهو ما سنسّلط عليه الضَّوء من خلال هذه الورقة البحثية؛ بتقديمِ نافذة مضيئة عن شخصية الشَّيخ، وحياته العلمية، والإصلاحية، وهو شخصية فاعلة لمْ ينلْ حظَّه الأوفى من عنايةِ أهلِ الفكرِ والعلم إلاَّ كلمات قليلة من الأوفياء، فكان من حقِّهِ علينا - وعلى رجال الفكر في منطقة الجنوب الشَّرقي بوادي سوف- أنْ تقف على حياته وقفة الذَّاكر بالجميل؛ اعترافًا لما قام به من جهدٍ إصلاحيٍ وثقافي، وما حمله من إنجازات بحكم معايشته لمرحلتي الاحتلال الفرنسي، وبعد الاستقلال، فعُرِف عنه شديد التَّأثُّر بشيوخه بالزَّيتونة وجهوده بنفطة. ونظرًا لعمقِ الموضوع وأهمّيته التَّاريخية عمدت هذه الورقة البحثية لتحقيقِ الأغراض الآتية:

- الرَّغبة الذَّاتية في التَّعرف على أحدِ روَّاد الفكر الإصلاحي بالجنوب الشَّرقي بمدينةِ وادي سوف؛ للمآثر التي خلَّدها في خدمة العلم، والتَّعليم؛ وتحديدًا التَّعليم القرآني، وولائه لدينه، ووطنه، وعروبته.

- معرفةِ جهود الشَّيخ العلمية، والإصلاحية، إضافة إلى تقديم ما هو جديد، ومستحدث في تاريخ الفكر الإصلاحي، والثَّقافي بمنطقة وادي سوف.

- حيويَّة الموضوع، ومحدودية الدِّراسات الأكاديمية التي تناولت شخصيات إصلاحية

بمنطقة وادي سوف بصفةٍ عامَّة، ومنْ صنعوا الأحداث بصفة خاصَّة.

- أهمِّية هذه الشَّخصية، ونشاطها المزدوج ما بين منطقتي المكناسي بنفطة، ووادي سوف، وتحديدا بالنَّخلة،والمكانة العلمية التي تميَّز بها.

- معرفة الجهود التي بذلها الشَّيخ في نشر العلم، وممارسة التَّعليم، ومساهمته في بناء المجتمع فكريًّا وعلميًّا.

مستخدمة في ذلك المنهج الوصفي؛ لوصف الأحداث التَّاريخية التي رافقت الشَّيخ الحسين حمادي عليه رحمة الله، والمنهج التَّاريخي لتتبُّع تسلسل الأحداث التَّاريخية زمانًا ومكانًا. ولفهمِ الجوانب النَّشطة في حياةِ الشَّيخ "الحسين حمَّادي "عليه رحمة الله، ونشاطه في بلدته النَّخلة التَّابعة لولاية وادي سوف، انطلق البحث في الحديث حول حياة الشَّيخ من حيث؛ نسبه، ومولده ونشأته، وتفاصيل مسيرته الشَّخصية بين مرحلتي التَعليم، والتَّكوين، بداية بالتحاقه بمدينة "المكناسي" معلِّمًا و"بالزَّيتونة" طالبًا، والمكانة اللاَّئقة التي حظي بها في تونس؛ وتحديدًا بين أولاد العمامي، ثمَّ التَّطرق إلى تفاصيلِ عودته إلى بلدته النَّخلة، والمهام التي تولاَّها أثبت جدارته في خوضِ النِّضال، والإصلاح، ومقاومته الثقافية. وللتعمُّق في معرفة حيثيات الموضوع وتفاصيله يمكننا الإجابة عن التَّساؤلات الآتية:

- من هو الشَّيخ الحسين حمَّادي عليه رحمة الله؟
- ما هي الدَّواعي التي جعلت الشَّيخ الحسين حمادي يلتحق بجامع الزَّيتونة بتونس؟
- فيم تمثَّل الدَّور الإصلاحي والثقافي للشَّيخ الحسين حمادي في بلدته النَّخلة؟
- ما هي أهمِّ الجهود الإصلاحية التي مارسها الشَّيخ في بلدته النَّخلة؟

2. الشَّيخ الحسين حمادي مولده و نشأته وتعليمه

1.2. نسبه ومولده:

هو الحسين بن علي بن حمادي بن علي بن سالم بن نصيب بن علي بن بلقاسم بن عجال بن بلقاسم بن العزال، والعزال هو جدّ العزازلة، ويرتقي نسبه إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وابن فاطمة الزَّهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى أبيها رضي الله عنها[1]. ولد ببلدة النَّخلة بمنطقةِ الجنوب الشَّرقي لولايةِ وادي سوف خلال

1- بن علي محمَّد الصَّالح، الشَّيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، إصدارات دار الثَّقافة لولاية الوادي، مطبعة سخري، 1433هـ/ 2012م، ص: 37.

سنة: 1900م[2]، وكان ميلاد الشَّيخ خلال مرحلة هامَّة من التَّاريخ الجزائري، وهي فترة مرور سبعين عامًا على احتلال الجزائر سنة 1830م، والتَّحوُّل الكبير الذي حصل سنة 1900م بحصول المستوطنين الفرنسيّين في الجزائر على استقلالهم المالي عن دولتهم فرنسا؛ حيثُ تمَّ انفرادهم بثرواتِ، وخيراتِ الجزائر في إطارِ الاستقلالِ الذَّاتي[3]. والده الشَّيخ "علي حمادي" عليه رحمة الله إمام مسجد النَّخلة، وقدْ توفِّي في شهرِ رمضان الموافق لشهرِ أكتوبر 1940م عن عمر ناهز الثَمانين، ووالدته مريم بنت عبد الله عباسي من حيّ العبابسة بالبياضة، توفِّيت سنة: 1937م، تزوَّج بعدها والده خديجة بنت العربي كنيوة ولمْ ينجبْ منها وتوفِّيت بعده بعدَّة سنوات، وقدْ كان الشَّيخ سادس إخوته وأصغرهم سنًّا[4]، إخوته من الذُّكور؛ الطيّب، وحمادي، وميداني، وإبراهيم، وعبد القادر، ومنَ الإناث؛ ساسية، فقط. تزوَّج سنة: 1934م، له أولاد من الذُّكور: لمين، علي، بوبكر، وله بنات[5].

2.2: **نشأتـه**:

نَشَأَ الشَّيخ "الحسين حمادي" عليه رحمة الله في ظروفٍ، وأحداثٍ سياسيَّةٍ كان لها الأثر في تكوين شخصيته، وتحصيله العلمي قبل الاستقلال وبعده، سواء في طفولته أو عندما كان شابًّا، أو طالبًا بالزَّيتونة، كاندلاع الحرب العالمية الأولى؛ من سنة: 1914إلى 1918، والثَّانية؛ من سنة: 1939م إلى1945م، ووقوع الانتفاضة الشَّعبية بمدينته وادي سوف (هدَّة عميش)؛ الأولى سنة: 1918م، والثَّانية سنة: 1938م، تمثَّلت مطالبها رفع الضَّرائب التي فرضها الاحتلال في حقّ سكَّان المدينة، وتحسين الظُّروف الاجتماعية، ورفع التَّضييق عن المدارس والزَّوايا، بالإضافة إلى أحداث ميلاد الحركات الوطنية، وتأسيس بعض الأحزاب؛ كحزب شمال إفريقيا 1926م،وحزب الشَّعب 1937م،وتأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة: 1931م؛ حيث كان النَّشاط الإصلاحي، والثَّقافي من طرف شباب الجمعية، وشيوخها،

2- إبراهيم شويخ، الرَّحلات العلمية وأثرها في الحياة الثَّقافية بمنطقة وادي سوف (1931م، 1969م) مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2018/2017م، ص :39.

3- عاشور نبيل، صفقة القرن بين الجزائر 1900، وفلسطين 2018، بتاريخ 4/4/2018، تمت مشاهدته 2022/2/20م على السَّاعة 20:21.

https://www.aljazeera.net/blogs/2018/4/4/2018/

4- أعلام سوف، مديرية الثَّقافة، إصدارات دار الثَّقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، 2006م، ص: 24.

5- محمَّد العيد قدع، الشَّيخ الحسين حمادي ودوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتَّربوي بتونس ووادي سوف، 1902م/1982م، مطبعة ذويب، الوادي، ط1، 2003م، ص-ص 38-42؛ ومحمَّد السَّعيد عقيب، الشَّيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف، مجلَّة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلَّد 6، العدد :1، ص :2.

وتنظيمات الهجرة الطُّلاَّبية العلمية، وبروز الحركات الوطنية التَّحرُّرية، وأحداث 8 ماي 1945م، بدايات التَّحول من المقاومة السِّياسية إلى المقاومة المسلَّحة، وتبلور بداية التَّفكير الجدِّي للثَّورة[6].

كما نَشَـأَ في أسرةٍ فقيرةٍ لا تملك ما تسدُّ حاجاتها من كفافِ العيشِ؛ حيث كانت الحياة بسيطة وطرق العيش، والكسب تكاد تكون معدمة لكونها خاضعة للحكم العسكري الفرنسي، فلمْ تتوفَّر لأهالي منطقة النَّخلة سوى مهنة الرَّعي، وغراسة النَّخيل الشَّاقَّتين، كما نشـأ الشَّيخ في وسطِ أسرةٍ محافظة، تهتمُّ بتعليم أبنائها العلم، وحفظ القرآن، حيث كان والده معلِّمًا للقرآن، وإمامًا بالمسجدِ العتيق بالنَّخلةِ، ومن وجهاء، وأعيان البلدة؛ لما رأى فيه النَّاس من خلقٍ قويمٍ، وتوجُّه نحو العلم، وخدمة الغير بدون مقابل. حفظ جزءًا من القرآن الكريم على يد والده؛ لكنَّه لمْ يستمرْ عندما قام بمحاولاتٍ للالتحاق بزوايا الجنوب التُّونسي[7].

3.2. تعليمه بالزّيتونـة:

شهدت مدينة وادي سوف نهضة ثقافية، وإصلاحية كبيرة، كانت مقوّماتها الأولى المدارس القرآنية في بدايات القرن 19، وكذلك الرَّحلات العلمية والثَّقافية المتبادلة بين زوايَا، ومدارس القطر التُّونسي خاصَّة جامع الزَّيتونـة، يخوضها شيوخ أفاضل ورجال علم أمثال الشَّيخ " الحسين حمادي" وغيره كثير، كلُّ هؤلاء نالوا الحظَّ الأوفر في تكوينهم علميًّا، وفكريًّا ودينيًّا، فحملوا الفكر الإصلاحي لتكوين جيل متعلِّم مثقَّف، يقود الحركة العلمية والثَّقافية في زمنٍ ما بعد الاستقلال، وما قبل الاستقلال نجد "الشَّيخ الحسين حمادي" من روَّاد هذه النَّهضة.

1.3.2. التحاق الشّيخ بالمكناسي بنفطة:

ممَّا أثَّر في الشَّيخ الحسين حمادي ما سمعه من أخبارٍ حول تونس، وما تتمتَّع به من ازدهارٍ للزَّوايا، والتَّعليم؛ جعلت منه هذه المسامع يتوق إلى السَّفر للزَّيتونة لمزاولة تعليمه، وتوسيع مداركه الفكرية والثَّقافية، فكان مولعًا بجامعِ الزيتونة والدُّروس التي يقدِّمها الطَّلبة الزَّيتونيين؛ ليستفيد من دروسهم، وشروحهم، وحديثهم عن تونس وعلومها، وثقافتها، وهو الأمر الذي جعله يحنُّ إلى الزَّيتونة. وعلى إثر ذلك سافر إليها بعد عدَّة

6- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص: 37.

7- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص-ص: 37-38.

محاولات، وفي المرة الثَّالثة - حين بلغ ثماني سنين - نقله والده إلى زاوية "سيدي إبراهيم بن الشريف" بنفطة بمحاذاة وادي سوف على الحدود الشَّرقية، كان نظام التَّدريس فيها داخليا، يقصدها جميع الطَّلبة من كلِّ الجهات؛ لتلقِّي كتاب الله، وبعض العلوم الأخرى، كالمتون الفقهية وغيرها[8]. حفظ القرآن الكريم كاملاً على يدِ أحدِ شيوخها الشَّيخ" الحبيب"، والذي كان أكثر من تعلَّق، وتأثَّر به، وكان ذلك في أوائل شهر شوال سنة: 1329هـ الموافق لأواخر شهر ديسمبر 1911م على أرجح الرِّوايات، وعمره آنذاك 18 سنة، وقدْ درس على يدِ شيوخها منهم: " الشَّيخ التابعي"، و"ابن أحمد" و"الشَّيخ إبراهيم الصمادح"، وقدْ أعجب مشايخه بذكائه، وسرعة حفظه، ونال احترامهم، وتبوَّأ مكانة مرموقة عند الجميع، فمكث في نفطة حوالي ستّ سنوات تقريبًا[9]. وبحكمِ انتقال الشَّيخ من نفطة إلى المكناسي كان من الطَّبيعي أنْ لا يضيّع فرصته التي ظلَّ يسعى جاهدًا بلوغها، فمكثَ في المكناسي بين أولاد **العمامي** عشر سنوات؛ لتعليم، وتحفيظ أبنائهم كتاب الله،فحظي بينهم بالاحترام، والتَّقدير إلى أنْ عرضوا عليه تزوجيه، وتمليكه قطعة أرض فلاحية، لكن الشَّيخ رفض بحجَّة مواصلة تعليمه،وهو السَّبب الذي أخَّر زواجه إلى سنة 1934م [10]، فلمْ يستقرَّ طويلاً بينهم، واختار مواصلة رحلته العلميَّة، فانتقل إلى الزَّيتونة سنة: 1928م .

2.3.2 الشَّيخ الحسين حمادي طالبا بالزَّيتونة:

التحاقُ الشَّيخ الحسين حمادي بالزَّيتونة لمْ يكن صدفة، أو لإحراز شهادات عليًا، وإنَّما رغبته الجامحة، والملحَّة للتَّعلُّم، واكتساب فنون، وعلوم يحتاجها في مساره العلمي، ومشواره الإصلاحي بصفةٍ أشمل، فحينما يجتمع الدَّافع الذَّاتي الجامح مع توفُّر الصِّفات الخلقيَّة، والمعنويَّة كالصِّدق والإخلاص، يبنى عليها اكتمال الشَّخصية العلمية المتينة التي تكوَّنت من مؤسَّسات التَّعليم الدِّينية؛ سواء في تعليمه الأوَّل على يدِ والدهِ في "المسجد العتيق" بالنَّخلة، أو في زاوية "سيدي إبراهيم بن أحمد الشريف بنفطة أو التحاقه بجامع الزَّيتونة العريق، وما تلقَّاه من علومٍ شرعيَّةٍ متعدِّدة كالقراءاتِ رواية ودراية، الرسم التوقيفي، والتَّفسير والحديث، وعلومه والفقه وأصوله، وعلم الأخلاق والسِّير، وعلم اللُّغة والبلاغـة[11]. وكان انخراطه للدِّراسة في الزَّيتونة بعد اجتيازه امتحانِ الدُّخول، فدرس بها

8- نفسه، ص-ص: 24-22.

9- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص: 39؛ محمَّد السَّعيد عقيب، المرجع السَّابق،ص ء170.

10- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص: 45.

11- نفسه، ص: 61.

سبع سنوات، قضى السَّنوات الأربع الأولى منها بالانتساب، ومن السَّنة الخامسة صار طالبًا نظاميا بالزَّيتونة، بداية من موسم: 1930م إلى 1931م، واجتاز السَّنة الخامسة، والسَّادسة بنجاح واقتدار[12]. وفي السَّنةِ السَّابعة الموافقة للسَّنة الدِّراسية 1933/1932م لمْ يُكملْ دراسته في سبيلِ الحصول على شهادة التَّطويع، وذلك بسببِ الأحداث، والظُّروف السِّياسية التي عاشتها تونس، وشهدها جامع الزَّيتونة ضدَّ عميد الجامع الفقيه المالكي" الشَّيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشور"، وبسبب الأحداث التي انطلقت من "بنزرت"؛ حيث راجت شائعة في ديسمبر 1932م، مُفادها أنَّ رئيس المتجنِّسين بتلك المدينة المسمَّى "محمَّد شعبان" قدْ توفِّي، فأصرَّ السكان على عدم دفنه بمقابر المسلمين، وصاحب هذا الحدث فتاوى علماء الزَّيتونة منهم الشَّيخ الفقيه محمَّد الطَّاهر بن عاشور مفتيًا بجوازِ التجنِّس إنْ لم يخرج من الدِّين وشهد بالإسلام، ونتيجة لهذه الاضطرابات لمْ تتمْ الدِّراسة خلال تلك السَّنة، واحتسبت سنة بيضاء لكلِّ الدَّارسين في جامع الزَّيتونة[13].

وفي الزَّيتونة درس الشَّيخ على عددٍ من المشايخ المتخصِّصين في عددٍ من العلوم منهم: الشَّيخ محمَّد عبد العزيز النيفر، الشَّيخ محمَّد الحطاب بوشناق، الشَّيخ أحمد بن عثمان، الشَّيخ محمد التارزي، الشَّيخ إبراهيم النيفر، الشَّيخ محمَّد إبراهيم النيفر، والشَّيخ محمَّد الزغواني[14]. وبعد سنوات من النِّضال حتىَّ سنة: 1982م توفِّي الشَّيخ بتاريخ: 15 أفريل 1982م، بعد مرضه بأيامٍ قلائلٍ فشهدت جنازته حضورًا مهيبًا شهد عليه القاصي، والدَّاني القريب، والبعيد لشيمِ أخلاقهِ، ومثابرتهِ في مهامه، وجهوده التي أينعت، وآتت أكلها، فكان مثالاً، وقدوة يحتذى به[15].

3. النشاط الإصلاحي والثقافي للشَّيخ الحسين حمادي في بلدته النخلة:

كانت مدينة وادي سوف حاضرة علمية إصلاحية، فكلُّ مساجدها تحوي مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومبادئ اللُّغة العربية، والفقه، وبقية العلوم، ويعود الفضل إلى الجهود التي بذلها شيوخ، وعلماء المنطقة ممَّن تطوَّعوا لإعدادِ نشءٍ متعلِّم، ومثقَّف، ثمَّ إرسالهم في بعثات طلاَّبية إلى مدارس، ومعاهد جمعية العلماء المسلمين، أو إلى زوايا

12- علي الزيدي، الزَّيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التُّونسية 1945/1904، دار نهى، سفاقس، 2007م، ص: 360.

13- المرجع نفسه، ص: 52.

14- محمَّد السَّعيد عقيب، المرجع السَّابق، ص: 173.

15- المرجع نفسه، ص: 6.

الجنوب التُّونسي؛ مثل زاوية سيدي إبراهيم وزاوية مصطفى بن عزوز بنفطة، وزاوية سيدي المولدي بتوزور، وجامع الزيتونة. ومن بين هؤلاء الطَّلبة كان الشَّيخ "الحسين حمادي" والذي تكوَّن، وتعلَّم على يدِ مشايخ، وعلماء الزَّيتونة، فتلقَّى منهم علومًا عديدة جعلت منه شخصية علميَّة، ودينيَّة قادرة على تولِّي مهمَّة التَّعليم،فقضى تقريبًا سبع سنوات طالبًا بالزَّيتونة، ومعلِّما بأحدِ مناطقها المعروفة، ليعود إلى مسقط رأسه في صيف: 1940م في زيارةٍ لأهلهِ، وبني عشيرته بمناسبةِ حلولِ شهرِ رمضان المبارك،لكن شاءت الأقدار أنْ توفِّي والده الشَّيخ "علي بن حمادي" 1940/10/23م وأوصاه خيرًا بالمسجد، والمدرسة القرآنية، والجماعة، وهنالك كان على الشَّيخ الاستقرار نهائيًّا في بلدته النَّخلة تنفيذًا لوصيَّةِ والدهِ[16]، فانطلق في تطبيق مشروعه الإصلاحي المتنوّع بدايـةً بـ :

1.4. **المسجد**:

اتَّخذ الشَّيخ من المسجد فضاءً للتَّعليم حتَّى جعل منه مؤسَّسة إسلامية مؤثِّرة، إذِ المسجد في الإسلام هو مركز الإشعاع؛ فكان المسجد النَّواة الأولى للتَّعليم والتَّربية، وهو ما جعل الشَّيخ يكرِّس جهوده لتنظيم دروس الوعظ، والإرشاد الدِّيني وتهذيب النَّاس، ومحاربة الأمراض الاجتماعية، والعقائدية،وتهذيب السُّلوك وتحسين الأخلاق. فقدَّم من خلاله – المسجد - دروسا في العلوم الإسلامية؛ من تفسير، وعقيدة، وأخلاق، ونحوٍ، وصرف.. وغيرها من العلوم الأخرى، فارتكز على النَّشء بضرورةِ تعليمهم، ومعرفـةِ لغتهم وإحياء تاريخهم وأمجادهم، وكان يؤمن إيمانًا راسخًا بدور التَّعليم المسجدي للحفاظ على الأمَّة. فارتكز نشاطه بالمسجد على:

1.1.4. **الإمامة**:

إضافة إلى ممارسة مهمَّة التَّعليم القرآني نجد الشَّيخ متعدِّد المهام، ومترامي الأهداف، فقدْ كان إلى جانب التَّعليم القرآني يمارس الإمامة، وهي مسؤولية عظيمة، وأمانة ثقيلة، وتكليف جسيم ليست بالمسؤولية السَّهلة، يسخِّرها الله لمن تتوفَّر فيه صفة الإخلاص، والعزيمة، والثَّبات، والمواظبة والاستمرارية مع الالتزام، والتَّواضع، فقال عنه الشَّيخ العيد عقيب:"منذ عرفت الشَّيخ الحسين لمْ أر، أو أسمع أنَّه غاب عن الإمامة، أو التَّعليم القرآني إلاَّ لضرورةٍ ملحَّة، أو عذر قاهر؛ كالمرضِ، أو رحلةِ حجٍّ ونحو ذلك"[17]. ويذكر أيضا أحد

16- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص: 71.

17- بن علي محمد الصالح، المرجع السابق، ص: 101.

تلامذته الشَّيخ الطَّاهر بقاص في قوله: كان الشيخ الحسين مواظبا على المسجد، وتعليم القرآن للتلاميذ، وللصَّلوات الخمس، وليس له عمل آخر إلاَّ خدمة الله سبحانه وتعالى، والقرآن، والصَّلاة، والعبادة"[18]. وهو في هذا كله عامل بوصيَّة والده؛ ليكون خلفًا له بتدريس القرآن، وإمامة الجماعة في صلواتهم، زيادة على تعليم القرآن، وهكذا أقحم الشَّيخ خلفا لوالده الشَّيخ علي حمادي عليه رحمة الله.

2.1.4. **التدريس**:

لمْ يكتف الشَّيخ الحسين بالإمامة، وتعليم القرآن فحسب؛ بل كان يدرِّس عددا من العلوم منها الفقه، والنَّحو، والصَّرف، وله دراية كبيرة بالنَّحو، فعكف على تعليم تلاميذه متون اللُّغةِ العربية، وبعض المتون في ما يتعلَّق بعلوم القرآن مثل: مورد الضمآن، والمصباحي في رسم القرآن، ومتون الفقه كمتن" ابن عاشر"، و"سيدي خليل"، والموطأ، والرحبية في علم المواريث، وكذا الخلاصة الفقهية وغيرها من المتون وبعض العلوم الشَّرعية، فتخرَّج على يديه عدد كبير من الحافظين لكتاب الله بقدر 95 طالبا؛ أبرزهم "الطاهر حميداتو"، "عمر شويرفات"،"عبد الله دوش"، "أحمد سواكر"، "الضيف بن علي"،"عبد الرحمن بن علي"،"عمار حميداتو"، "لزهاري حميداتو" وغيرهم.[19] يقول عنه أحد تلامذته الشَّيخ "عبد القادر مرزوقي": "درسنا عند الشَّيخ الحسين الصَّرف والنَّحو والأجرومية والفقه والسِّيرة النَّبوية"[20].

3.1.4. **الوعظ والخطابة**:

تميَّزت مواعظ الشَّيخ وخطبه بالمرونة، واليسر والتَّرغيب بدل التَّرهيب، وكان ينزل النَّاس منازلهم فيختار الموضوع المناسب في الوقت المناسب، وكانت جلساته الوعظية متنوِّعة بين الوعظ والإرشاد والنُّصح، والإفتاء والتَّرفيه من الشِّعر؛ فحظي بالمكانة والمنزلة المرموقة في بلدته النَّخلة، وثقة النَّاس به جعلتهم يرجعون إليه في قضاياهم التي يختلفون فيها، فكان مفتيًا وقاضيًا يرضى بحكمه الجميع، ويأخذون بنصائحه وتوجيهاته، وحلوله خصوصًا في قضايا الميراث، وما يتعلَّق بها، وفي الاختلافات الأسرية، والاجتماعية، وقضايا أخرى؛ كالبيوع، والإجارة، والدُّيون وغيرها،فكان دائمًا يدعوهم إلى التَّمسُّك بالقيم الأخلاقية،

18- نفسه، ص: 102.

19- محمَّد السَّعيد عقيب، المرجع السَّابق، ص: 174.

20- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص: 73.

والمبادئ الدِّينية، والوطنية السَّامية،ويدعوهم إلى الهداية، وفعل الخير[21].

2.4. المدرسة القرآنية:

كانت المؤسَّسات التَّعليمية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، عبارة عن غرفٍ صغيرةٍ لصيقةٍ بالمسجدِ، أو الزَّوايا يتمُّ فيها تدريس القرآن، وتحفيظه للصِّغار[22]؛ حيث كان لهذه الزَّوايا،والكتاتيب الدَّور الأكبر في رواجِ التَّعليم بمنطقة وادي سوف[23]. وقد كان الشَّيخ الحسين من الذين بذلوا جهودًا كبيرة في مجال التَّعليم القرآني. وكانت طريقته في تعليم القرآن تقليدية باللَّوح، قبل شروق الشَّمس إلى وقت الضُّحى للصِّغار، وكبار السِّنّ، وخصّص للكبار دروسًا في محو الأمية، وتحفيظ السُّور القصار، ولمْ تكن دروسًا منتظمة، وإنَّما دروسًا يلقيها حسب المناسبات، والنَّوازل[24]. فتعدَّدت مستويات الوافدين إليه من مختلف الأعمار؛ بل حتىَّ ذوي الاحتياجات الخاصَّة، ليصل عددهم الثَّابت سبعين طالبًا، وأحيانًا يصل إلى 99 أو المئة، وهو ما يتوجَّب على الشَّيخ التَّوفيق في التَّكفُّل بهؤلاء الطَّلبة حفظًا، وتلقينًا فقدْ اعطاه الله من النَّباهةِ وسعة الصدر، والفطنة، وحضور البديهة ما يجعله قادرًا على تصنيفهم، ودراسة قدراتهم العقلية، وملكاتهم الكامنة،[25] بنيَّةِ تنشئتهم، ومتابعتهم حتَّى يكون جيلاً متفتحًا؛ لأنَّ الاستعمار من أهدافه جعلُ الأمَّة تعيش حالة من الضَّياع، والتِّيه كيْ لا تطالب بحقوقها.

وأمَّا أسلوبه في تعليم وتحفيظ القرآن كان مميَّزا، فامتاز بالسَّلاسة، والمعاملة الحسنة، والدِّقَّة وسرعة البديهة، والقدرة على ضبط النَّفس، وعدم اتباع أساليب العنف التي تجعل المقبلين للحفظِ على يديهِ ينفرون منه، فكان يملك القدرة على التَّعامل مع جميعِ قدراتهم، ومستوياتهم من الصِّغار والكبار،إضافة إلى الحنوِّ على طالب العلم[26]، فيقول عنه أحد

21- علي خضرة، الشَّيخ الحسين حمادي السُّوفي ودوره في خدمة المذهب المالكي في جنوب سوف والجنوب التونسي، مجلَّة البحوث والدِّراسات العدد 20، 2015م، ص: 229.

22- لحسن أوري، السِّياسة التَّعليمية الاستعمارية في إفريقيا (نموذج المغرب العربي) دورية كان التَّاريخية، العدد12، 2011م، ص 35.

23- البشير مقدود، التَّعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرَّفض والتَّأثير، مجلَّة المعارف للبحوث والدِّراسات التَّاريخية، جامعة الشَّهيد حمَّة لخضر، الوادي العدد4، ص: 140.

24- علي خضرة، المرجع السابق، ص: 12.

25- بن علي محمَّد الصَّالح، المرجع السَّابق، ص :75.

26- يُنْظَر: محمَّد الصَّالح بن علي، المرجع السَّابق ص-ص: 164-165؛ محمَّد السَّعيد عقيب، المرجع السَّابق، ص:4.

تلامذته الشَّيخ " محمَّد الكبير خالدي" : "كان لا يضرب إلاَّ من ظلم غيره، أو وصل متأخِّرًا، أو من تلفَّظ بما لا يليق، وكانت له فراسة لطلبته"[27]. وقال عنه أحد تلامذته مادحًا: "كل من التقيت بهم من معلمِّي القرآن في ربوع هذه الولاية –الوادي –؛ قديمهم، وحديثهم ما وجدت شخصًا يشبهه حتَّى الشَّبه، فضلًا بأن يكون مثله، والسرُّ في هذا توفُّر شرطين: الشَّرط الأوَّل: الكفاءة، وحفظه لكتاب الله، والشَّرط الثَّاني: فهمه لأسرار هذا الكتاب، والعربية التي يتمتَّع بها والفقه[28].

4. خاتمة

بعد الإطلالة الفكرية لعلم من أعلامِ الفكرِ الإصلاحي في مدينة وادي سوف، وتحديدًا ببلدة النَّخلة تحدَّدت نتائج هذا البحث كالآتي:

- إنَّ السِّياسة التي انتهجتها السُّلطات الاستعمارية في مدن الجنوب الشَّرقي، والمتمثِّلة في القضاء على الشَّخصية الجزائرية، وطمس الهوِّية الإسلامية، قدْ جوبهت من قبلِ الإصلاحيِّين؛ ومنهم الشَّيخ الحسين حمادي عليه رحمة الله.

- عظم المسؤولية الملقاة على عاتق شيوخ، ورجال الإصلاح؛ سيما خرِّيجي الزَّيتونة من أجلِ إصلاحِ أحوالِ الشَّعب الجزائري عمومًا، وسكَّان مدينة وادي سوف خصوصًا، قصد انتشالهم من حمْأة الجهل، والتَّخلُّف التي فرضتها السُّلطات الاستعمارية منذ دخولها إلى المدينة.

- الشَّيخ الحسين حمادي، من الشَّخصيات الإصلاحية النَّشطة إبَّان الاحتلال وبعده؛ وعظًا، وإرشادًا، وتعليمًا. والصِّفات التي يحملها جعلت منه شخصية تتميَّز بالعزيمة، والثَّبات.

- إنَّ خدمة التَّعليم القرآني التي قدَّمها الشَّيخ تميَّزت ببساطة وسائلها، وقوَّة تأثيره .

- رغم الظُّروف البيئيَّة، والمعيشية، والسِّياسية والاقتصادية، والثَّقافية المزرية لمْ تنقصْ من عزيمة الشَّيخ في مواصلة العمل الإصلاحي، وسعيه الحثيث لإخراج أبناء بلدته من الجهل والأمّية، والتخلف.. آتى أكله، وثماره، فشهد له تلامذته وأقاربه، وأبناء بلدته وأثنوا عليه خيرًا.

27- المرجع نفسه، ص:5.

28- علي خضرة، المرجع السَّابق، ص: 11.

6. قائمة المراجع

- محمَّد الصَّالح بن علي، الشَّيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، إصدارات دار الثَّقافة لولاية الوادي، مطبعة سخري، ط1، 1433هـ/ 2012م.
- أعلام سوف، مديرية الثَّقافة، إصدارات دار الثَّقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، 2006م.
- شويخ إبراهيم، الرَّحلات العلمية وأثرها في الحياة الثَّقافية بمنطقة وادي سوف (1931م-1969م) مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشَّهيد حمة لخضر، الوادي، 2017/ 2018م.
- قدع محمَّد العيد، الشَّيخ الحسين حمادي ودوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتَّربوي بتونس ووادي سوف 1902م/1982م، مطبعة ذويب، الوادي، 2003م.
- عقيب محمَّد السَّعيد، الشَّيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية،المجلد 6، العدد :1.
- الزيدي علي، الزَّيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التُّونسية 1904 /1945، دار نهى، سفاقس، 2007م.
- خضرة علي، الشَّيخ الحسين حمادي السُّوفي ودوره في خدمة المذهب المالكي في جنوب سوف والجنوب التُّونسي، مجلَّة البحوث والدِّراسات، العدد: 20، السنة :2015م.
- أوري لحسن، السِّياسة التَّعليمية الاستعمارية في إفريقيا (نموذج المغرب العربي) دورية كان التَّاريخية، العدد:12، 2011م.
- مقدود البشير، التَّعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرَّفض والتَّأثير، مجلَّة المعارف للبحوث والدِّراسات التَّاريخية،جامعة الشَّهيد حمَّة لخضر، الوادي العدد:4.
- بوالصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931م /1945م، ط:5، دار البهاء، عن وزارة الثقافة الجزائرية، 2013م.
- عاشور نبيل، صفقة القرن بين الجزائر 1900، وفلسطين 2018، بتاريخ 2018/4/4، تمت مشاهدته 2022/2/20م على السَّاعة 20:21.
//https://www.aljazeera.net/blogs/2018/4/42018